

مهري نادية - زندوح زينة

بإشراف أ.د. قوادريّة علي

(جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة)

## الملخص

### Résumé :

La maltraitance parentale est un phénomène qui, chez l'enfant, entraîne des séquelles importantes; tant au point de vue physique que psychique.

Et pour cause, cette pathologie ne permet en aucun cas à l'enfant de se développer normalement et c'est une des raisons pour lesquelles nous nous sommes penchés sur le sujet.

Nous avons étudié l'évolution de ces séquelles et parmi les troubles qui en surgissent, existe un trouble appelé communément la phobie scolaire.

Dans le cadre de ce projet, nous nous sommes appuyés sur des travaux pratiques, mettant en exergue des cas d'étude afin d'en constater l'origine de ce trouble

إن لظاهرة سوء المعاملة الوالدية آثارا سلبية وخيمة تمس صحة الطفل وتكامله الجسدي والنفسي ويتظاهر ذلك من خلال اضطرابات مختلفة تؤدي إلى عرقلة مسار نموه السوي.

هذا ما دفعنا إلى دراسة إحدى المسارات المرضية التي يتعرض لها الطفل نتيجة لسوء المعاملة الوالدية ويتمثل ذلك في إضطراب الخوف المدرسي.

وقد اعتمدنا في ذلك على دراسة ميدانية تتضمن حالات بحثية لأطفال يعانون من الخوف المدرسي نتيجة سوء المعاملة الوالدية.

## مقدمة:

تعد ظاهرة سوء معاملة الأطفال إشكالية عالمية حيث تعاني منها مختلف المجتمعات، هذا ما جعلها محلا لكثير من الدراسات والبحوث العربية والأجنبية .

أما في مجتمعنا الجزائري، فرغم تفشي هذه الظاهرة غير أنه يصعب تحديد حجمها بشكل دقيق ، وتتدخل في ذلك عدة اعتبارات منها أنه كثيرا ما يقع الأطفال ضحية أنماط مختلفة من الإساءة لكنه ليس بإمكانهم الإبلاغ عنها، كما أنه هناك صعوبة في تحديد مظاهر الإساءة خاصة النفسية منها . هذا إضافة إلى التستر الذي يخفي وراءه معاناة حقيقية يعيشها الكثير من الأطفال جراء ما يلحق بهم من أضرار جسيمة جسدية كانت أو نفسية خاصة عندما يكون المتعدي أحد أفراد الأسرة.

وتأخذ سوء معاملة الأطفال أشكالا متعددة و مختلفة و يتسع نطاقها اتساع هذا المفهوم ، الذي يعد من المفاهيم صعبة التحديد لارتباطه بالسياق الاجتماعي والثقافي والزمني الخاص بسلوك التعدي فعلى سبيل المثال فان سلوكيات التأديب المعتمدة على الضرب في المدارس سابقا أصبحت الآن ممنوعة بل تنزل على مرتكبيها عقوبات إدارية وقضائية.

كما ترتبط ظاهرة التعرض لسوء المعاملة بعدة عوامل، يمكن تحديدها كما جاء في دراسة للباحثين بيترسون وبراون في ثلاثة محاور أساسية : عوامل اجتماعية وثقافية (الفقر، كثرة الأبناء، الضغوط النفسية...الخ)، عوامل متعلقة بالوالدين أو القائم على الرعاية (خبرات سوء المعاملة، اضطرابات عاطفية كالتخلفات ،الأسلوب التأديبي غير المؤثر ،الحاجة إلى ضبط الطفل، إدمان الكحول و/أو المخدرات...الخ). بالإضافة إلى عوامل مرتبطة بالطفل نفسه تمثلت حسب دراسة الباحثين في كثرة التشويش ، كثرة الحركة و النشاط و عدم الطاعة (بدر إبراهيم الشيباني ، 2003)

وكثيرا ما ترتبط سوء معاملة الأطفال بأساليب خاطئة في التنشئة الاجتماعية حيث يكون لدى الآباء أو القائمين على رعاية الطفل مفهوما خاطئا حول تأديبه ،الذي من المفترض أن يكون في موضعه المناسب و في حدوده المعقولة حتى يكون له الأثر الإيجابي ، أما أن يأخذ التأديب شكلا من أشكال القسوة و العنف فانه يخرج عن المسار الموضوع له ليندرج في إطار سوء المعاملة و ذلك لما ينتجه من أذى جسمي أو نفسي من جروح أو اهانات أو إهمال.

لقد تعددت الدراسات و البحوث حول موضوع سوء معاملة الأطفال، حيث اهتمت الكثير منها بالآثار السلبية الناجمة عن هذا السلوك. وفي هذا الإطار أسفرت دراسة لغوستافاسون وسيغال حول تحديد المؤشرات المحتملة لسوء معاملة الأطفال سواء كانت بدنية أو نفسية، على مجموعة من الاضطرابات نذكر منها : اضطرابات جسدية (إصابات داخلية، حروق، تمزقات...الخ) ، اضطرابات تمس شخصية الطفل في مختلف الجوانب كظهور سلوكيات سلبية، اضطرابات التغذية، سلوكيات ضد اجتماعية (سرقة، تخريب، كذب)، اضطرابات النوم، تأخر النمو العاطفي و العقلي و ضعف تقدير الذات و غيرها من الاضطرابات الأخرى (بدر إبراهيم الشيباني ، 2003). (إن سوء معاملة الأطفال مهما كان شكلها، فإنها تترك آثارا سلبية على صحة الطفل لاسيما النفسية منها. و يتظاهر ذلك في اضطرابات مختلفة تعرقل مسار نموه السوي وذلك على جميع الأصعدة العاطفية ، العقلية و الاجتماعية.

هذا ما جعلنا نحاول من خلال هذه الدراسة البحث في أحد هذه الاضطرابات ويتعلق الأمر بالخوف المدرسي. هذا الأخير هو كما جاء عن أجيريا جيرا: (1974) Ajuriaguerra فض الأطفال الذهاب إلى المدرسة لأسباب غير

عقلانية حيث يقاومون باستجابات قلق شديد أو هلع عند محاولة إجبارهم على ذلك. إن هذا المصطلح لا يستخدم كما جاء عن باولي Bowlby عندما يرفض الطفل الذهاب إلى المدرسة و لكن عندما يعبر بقلق كبير حالة إجباره على ذلك. كما أن تغيبه عن المدرسة يكون معلوما من قبل الوالدين و ذلك ببقائه في المنزل أثناء ساعات الدروس. و ليس من النادر أن يرفق هذا الظرف بأعراض نفسية -جسدية(Bowlby,1978,p344)..

و في هذا الإطار تحدث ليو فيسي Lebovici عن "القناع الجسدي للخوف المدرسي" و ذلك لارتباط هذه التظاهرات الجسدية بموعد الذهاب إلى المدرسة (الذهاب اليومي للمدرسة أو الدخول المدرسي)، في حين تختفي خارج هذا الظرف.(Lamotte,2004) و عن الخوف المدرسي ، فقد تعددت الدراسات المتعلقة بتفسير نشوئه المرضي ، حيث تأتي نظرية قلق الانفصال في المقدمة غير أن هذا لا ينفي ما تعرضت له من انتقادات لما تؤدي به إلى الوقوع في أحادية التفسير. هذا ما أدى بالمحللين إلى البحث عن تفسيرات في إطار تفاعلات الدينامية العائلية . وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة البحث في ظهور هذا الاضطراب ضمن التفاعلات العائلية التي تسودها سوء معاملة الطفل. و ذلك من خلال دراسة لأربع حالات إكلينيكية لأطفال يعانون من الخوف المدرسي حيث وجدنا حالة واحدة تجد تفسيرها ضمن نظرية قلق الانفصال أما الحالات الثلاث المتبقية فتأخذ تفسيرها ضمن إشكالات التفاعلات العائلية التي تتضح من خلالها سوء معاملة الطفل بأشكالها المختلفة. ونظرا لما يخدم أهداف دراستنا المتمحورة حول البحث في تأثير سوء معاملة الطفل في ظهور الخوف المدرسي لديه فإننا سوف نتطرق إلى الحالات الثلاث مع تحليلها و عرض النتائج العامة و مناقشتها.

تقديم الحالة الأولى: هشام، 09 سنوات ونصف، يدرس السنة الأولى ابتدائي، الأب: 45 سنة/بطلال، الأم: 42 سنة/ عاملة نظافة بإحدى المؤسسات التعليمية، عدد الإخوة: 02 /إناث: 02 /ذكور: 00، الرتبة بين الإخوة: الأولى. يعيش هشام في إحدى الأحياء القصديرية مع أمه و أخته الصغرى و أبيه . هذا الأخير هو مدمن كحول ، كثير الغياب عن المنزل بحجة العمل غير الواضح . و عند عودته فانه لا يتوقف عن البحث عن الحجج لإثارة المشاكل مع الأم التي تنتهي بشجارات عنيفة تكون فيها الأم ضحية للضرب و الشتم و التهديد. وفي حالة تدخل الطفل فانه يلقي نفس المصير حيث يتعرض لعقوبات قاسية. كما أنه كان عندما يعود إلى المنزل ويجده في حالة فوضى فانه يعرف أن والده جاء وهو من أحدث ذلك. يرفض هشام الذهاب إلى المدرسة منذ بداية تدرسه حيث أنه كثير الغياب خاصة في الفترة المسائية . كما ترفق محاولات الأم لأخذه بنوبات بكاء شديدة أدت في عدة مرات إلى انقطاع تنفسه خاصة وأنه يعاني من مرض الربو. هذا ما أثر على تحصيله المدرسي مما أدى إلى رسوبه

ومن خلال المقابلات التي أجريت مع الأم و الطفل واستنادا لمختلف الأدوات الأخرى من اختبار رسم الشجرة و نتائج تطبيق قائمة رهاب المدرسة للأطفال، يتضح لنا أن هناك عوامل متعددة تدخلت في ظهور الخواف المدرسي في هذه الحالة. و يمكننا القول أن لسوء المعاملة التي تلقاها الطفل هشام من قبل الأب دورا كبيرا في ظهور الاضطراب لديه و يتظاهر ذلك فيما يلي:

\*الإهمال : عانى منه منذ الصغر بسبب هجر الأب البيت و ما يترتب عنه من عدم تحمل مسؤوليات مصاريف العيش من جهة و تحقيق مطالب نموه السوي من جهة أخرى. حيث يعد الإهمال عامل أساسي في ظهور الكثير من الإضرابات لدى

الطفل فهو يؤدي به إلى القيام بسلوكات محاولة لعقاب الوالدين المهملين له من جهة أو العقاب الذاتي نتيجة الشعور بالذنب الناجم عن المشاعر العدائية اتجاه الوالدين من جهة أخرى .

وإذا رجعنا إلى تاريخ الحالة نجد أن الإهمال كان منذ فترة حمل الأم حيث لم يتحمل الأب مصاريف علاجها كما أنه كان يسيء معاملتها إلى حد ضربه خلال هذه الفترة. بالإضافة إلى عدم تحمل مصاريف تدرس هشام من لباس و أدوات مدرسية بل انه كان يقوم بأخذ المنحة المدرسية المقدمة في بداية العام الدراسي كإعانة للعائلات محدودة الدخل ليصرفها في أموره الشخصية.

\*الخط من قيمة الطفل و تجاهل إمكانياته: و يتظاهر ذلك في نعته ب "الحمار" وعدم مبالاته بمشاكله و في هذا الشأن يرى باركير بأن الخط من قيمة الطفل وتجاهل إمكانياته ينمي الشعور بعدم القيمة والاكتئاب لديه و التراجع عن التفاعلات الاجتماعية. و هذا ما نجده في حالة هشام الذي يرفض الذهاب إلى المدرسة والتعامل مع الآخرين.

\*أسلوب العقاب القاسي: تعرض الطفل للضرب المبرح و جعله يقضي الليل عدة مرات خارج البيت (في المطبخ البعيد عن باقي الغرف علما أن مسكن الإقامة هو بيت قصديري).

\*عدم توفير الجو العائلي الآمن و المستقر: يتظاهر ذلك في كثرة غياب الأب عن البيت حيث مرت العائلة بتجربة الهجر من قبله لمدة ستة أشهر كاملة قبل ولادة هشام ، إدمان الكحول من قبل الأب و كثرة الشجارات الوالدية فيما يتعلق بمصاريف البيت ، بالإضافة إلى سوء معاملة الأم من ضرب و شتم حتى أمام الأبناء.

وكخلاصة لهذه الحالة نجد أن الطفل يبقى في المدرسة منشغلا بما قد يحدث بالبيت نتيجة توتر العلاقات الوالدية حيث جاء مرض الربو كمكسب ثانوي لتبرير غيابه عن المدرسة وقد تطور الاضطراب لديه نتيجة سوء معاملته من قبل الأب من خلال الإهمال، العقاب الجسدي، النقد السلبي و هذا ما كون لديه انطبعا بالنقص وعدم الثقة غي النفس.

#### تقديم الحالة الثانية:

رانيا، 10 سنوات، تدرس السنة الخامسة ابتدائي، الأب: 51 سنة / تاجر (مهاجر)، الأم: 48 سنة / موظفة، عدد الإخوة: 01 / إناث: 01 / ذكور: 00، الرتبة بين الإخوة: الثانية .

رانيا هي نتيجة زواج غير متوافق من الناحية الاجتماعية و الثقافية و المستوى التعليمي حيث أن الأب لم يتجاوز المرحلة التعليمية الابتدائية بينما الأم فهي امرأة مثقفة وذات مستوى جامعي مما أهلها للعمل في منصب مهم في إحدى المؤسسات الاقتصادية الهامة. و قد تم الطلاق عند بلوغ الطفلة السنة الثالثة و ذلك بعد خلافات كبيرة نتيجة إقامة الزوج خارج البلاد بسبب العمل بالإضافة إلى سوء علاقة كل من الطرفين بعائلة الآخر.

تظاهر الخوف المدرسي لدى الطفلة من خلال رفضها الذهاب إلى المدرسة مع بداية الفصل الأخير من السنة الرابعة ابتدائي حيث يتزامن ذلك بظهور شكاوي جسدية تمثلت في آلام الرأس والبطن بالإضافة إلى حالة من القلق الشديد و هذا مع كل موعد للذهاب إلى المدرسة. و بعد مدة من الغياب والحضور انتقلت إضافة إلى الأعراض السابقة إلى شكاوي من سوء معاملة المعلمة التي في المقابل صرحت من خلال المقابلة بأنها تحبها وهي تحب البقاء معها ، كما أنه ليس لها علاقة برفضها

الذهاب المدرسة بل أنها تجهل سبب ذلك. ولأن مدة الثلاثي الأخير قصيرة فإن غياباتها لم تؤثر على مردودها المدرسي حيث انتقلت إلى السنة الخامسة. كما أن الأعراض السابقة اختفت كلياً خلال عطلة الصيف ، غير أنها عاودت الظهور مع بداية التحضير للدخول المدرسي الجديد. حيث أبدت "رانيا" إعراضها عن العودة إلى المدرسة. وقد ترافق ذلك بتظاهرات جسدية وصلت إلى درجة الإغماء و فقدان الوعي. في حين أكد طبيب الأطفال غياب أي سبب عضوي يؤدي إلى ظهور تلك الأعراض وضرورة عرضها على أخصائي نفسي.

إن نجاح رانيا يتفوق خلال السنوات الأولى من حياتها المدرسية يوضح عدم معاناتها من أية صعوبات في التعلم، كما أن علاقاتها الجيدة بالوسط المدرسي ( المعلمة أو الزملاء) ينفي أية عوامل متعلقة بالمدرسة في ظهور الخوف المدرسي لديها. وفي هذا الصدد فإنه من خلال المقابلات التي أجريت مع الأم والطفلة ومختلف الأدوات الأخرى اتضح أنها تعاني من توتر في علاقتها مع الوسط العائلي. كما أنها تعاني من سوء المعاملة التي تأخذ النمط النفسي و ذلك من قبل الأم و أحيانا من باقي أفراد العائلة، يتضح ذلك في:

\*تشبيهها بالأب: وهو العنصر المنبوذ من قبل العائلة (من حيث الشكل و الطبع حيث ترى الأم أنها تشبه الأب حتى في ردود أفعالها).

\*عدم توفر جو عائلي مستقر و آمن: من خلال انفصال الوالدين.

\*أسلوب العقاب القاسي: حيث أكدت الأم أن أحسن طريقة لمعاقبتها ل رانيا هو مقارنتها بأختها الكبرى (من حيث الشكل ، النتائج المدرسية) وهذا ما تنذر منه "رانيا" خاصة وأنها تلميذة نشيطة ونتائجها مرضية.

إذن من كل ما سبق حول علاقة "رانيا" بأبها و حسب المعلومات التي تحصلنا عليها من مختلف الأدوات الإكلينيكية المستخدمة، يتضح لنا أن هذه الطفلة تعاني من سوء معاملتها من قبل الأم حيث أنها تفتقد للأمن العاطفي والحب من خلال عملية مقارنتها بأختها و جعل ذلك كأسلوب عقاب، هذا ما يخلق لدى الطفلة شعور بعدم الأمن والقلق والشعور بالنقص، وفي هذا الصدد يرى إيريكسون أن حاجة الحب و الاحترام هي من أهم الحاجات النفسية للطفل (عماد محمد مخيمر، 2009، ص 24). كما أن شعور الطفل بالأمن يرتبط حسب وبينيكوث بتوافر الأمومة الجيدة الكافية (المرجع السابق، ص 104).

\*أما عن العلاقة مع الأب، فرغم غيابه و لجوء الأم إلى نبذ صورته إلا أن "رانيا" لم تكتفي بهذه العلاقة المحدودة ليكون الأب عنصرا مهما في حياتها وشخصا محبا حيث ظهر ذلك من خلال المقابلة، بالإضافة إلى ما أظهره اختبار رسم العائلة حيث قامت رانيا برسم الأب إلى جانبها مصرحة بوجود الأب في حياتها وقربه من مساحتها العاطفية. وهذا دليل كذلك على رغبتها في امتلاك عائلة كاملة بالإضافة إلى شعورها بالنقص. اتضح أيضا من خلال هذا الاختبار تقبلها للأب و اختيارها له كالشخص الأكثر لطفا في العائلة ، وبهذا فإنه رغم العلاقة المحدودة بالأب إلا أنها تشعر بالأمن والحب والتقبل اتجاهه، و هذا ما يؤكد افتقادها لذلك مع الأم. تقديم الحالة الثالثة:

بلال ، 10 سنوات، يدرس السنة الثالثة ابتدائي، الأب: 53 سنة / عامل ، الأم : 8سنة / ربة بيت، عدد الإخوة: 01 / إناث: 01/ ذكور: 00 ، الرتبة: الأولى. يعد بلال الطفل الأول لوالده بعد زواجه الثاني ،الذي تم بعد مرور خمسة سنوات من وفاة زوجته الأولى التي لم ينجب معها أطفالا. يعمل الأب في الجنوب

الجزائري، هذا ما يجعله يتغيب فترة معينة عن البيت، حيث أنه يعد حسب ما جاء عن الأم رجلاً صعباً، شديد الغضب و عصبي و ترجع ذلك إلى طبيعة عمله حيث أنه في فترة إجازته يجب أن يكون كل شيء منظم، نظيف، لا يحب الفوضى ويجب الهدوء لدرجة أنه لا ينبغي أن يسمع أصواتاً مرتفعة حتى عند الكلام. أما عن الطفل فهو يفضل اللعب الفردي أو اللعب مع الأطفال الأقل سناً منه حيث أنه لا يوفق في اللعب مع أقرانه منذ صغره. كما صرحت الأم أن الأب كثير القلق لهذا الأمر.

وعن ظروف دخوله المدرسة، فإنها كانت عادية، غير أنه كان يرفض الذهاب إلى المدرسة دون مرافق، كما أن تغيباً ته كانت منذ البداية و بشكل خاص عند غياب الأب. حيث كانت الأم لا تحب ذلك خوفاً منه من جهة و ظناً منها أنها مسألة وقت و يتعود الطفل على الجو المدرسي من جهة أخرى. أما عن أسباب تغيباته فترجع إلى المرض أحياناً أو إلى حدوث اعتداءات من قبل الأطفال الآخرين كما صرحت الأم.

و فيما يتعلق بنتائج المدرسة فهي في تراجع مستمر لتتقل من المتوسطة (معدل 10/10 إلى 5/6) في السنتين الأولى و الثانية إلى الضعيفة في السنة الثالثة حيث أدى ذلك إلى إعادته السنة، وقد تزامن ذلك مع تولي إدارة المدرسة من قبل أحد الأصدقاء القدامى للأب. و هنا تذكر الأم أنه منذ ذلك الحين ازدادت تغيباته وأصبح كثير الشكوى من المدرسة حيث أنه كلما حان موعد الذهاب إلى المدرسة تظاهر بالمرض و عند عودته يقدم شكاوي من المعلمة أو الزملاء. و قد أدت هذه الظروف إلى تدهور نتائجه و تراجعها، كما أشارت إلى أنه في تلك الظروف أصبح يعاني من التبول اللاإرادي. و قد جاء عن الأم أن موقف الأب من النتائج

المدرسية يتمثل في ضرب الطفل حتى في بداية تدرسه. كما صرحت أن بلال يحب الدراسة في البيت و هي تستغرب مما يحدث له في المدرسة. و قد كان رفضه للمدرسة رفضا صريحا خلال بداية السنة الدراسية خاصة بعد الحادث الذي جرى له بالمدرسة حيث تمت معاقبته من طرف المعلمة بطريقة غير تربوية ، تتمثل في إصاق لافتة كتب عليها "حمار" على ظهره وطلبت منه البقاء موجهها للحائط في مؤخرة القسم طوال الحصة . و منذ ذلك الحين رفض العودة إلى المدرسة لمدة تفوق الأسبوع خاصة و أن ذلك تزامن مع مرض الأب حيث رغم تحسن صحته بقي بلال مضطربا بين غياب و حضور. و قد أشارت الأم إلى خوف الطفل من الامتحانات حيث انه كثير المرض خلالها. و من خلال دراستنا للحالة باستخدام أدوات الدراسة من مقابلات إكلينيكية مع كل من الطفل و الأم، نتائج تطبيق قائمة رهاب المدرسة للأطفال و تحليل اختبار رسم الشجرة وتدعيمه باختبار رسم الرجل تبين لنا أن شخصية الطفل تتميز بسمات معينة تمثلت في الشعور بالنقص، عدم الثقة بالنفس و عدم الرضا عن الذات ، الانطواء و التمرکز على الذات والخوف من السلطة . هذه السمات كان للإطار العائلي المتمحور في شخصية الأب المسيطرة والمتسلطة تأثير كبيرا في بنائها، كما كان لها دورا هاما في عدم قدرة الطفل على مواجهة الصعوبات المختلفة التي واجهها في المحيط المدرسي. وهذا ما قد يكون وراء تطور الخوف المدرسي لديه.

تحليل النتائج ومناقشتها :

قبل مناقشة النتائج المحصلة، نذكر بفرضية الدراسة و التي مفادها أن سوء المعاملة الوالدية يؤدي إلى ظهور الخوف المدرسي لدى الطفل. أما عن سن ظهور الخوف المدرسي لدى الحالات الثلاث، فقد كان منذ بداية التمدرس كما هو الحال

بالنسبة للحالة الأولى و الثالثة ، في حين تظاهر الاضطراب بعد فترة بالنسبة للحالة الثانية. و بعد إجراء المقابلات الإكلينيكية نصف الموجهة مع الحالات الثلاث، فيما يتعلق بالأم و الطفل و تطبيق قائمة رهاب المدرسة للأطفال وتحليل نتائجها بالإضافة إلى تحليل النتائج المستخلصة عن الاختبارات الإسقاطية المتمثلة في اختبار رسم الشجرة و دعمه في الحالة الثانية باختبار رسم العائلة واختبار رسم الرجل في الحالة الثالثة. توصلنا إلى النتائج التالية:

بالنسبة للحالة الأولى اتضح لنا أن هناك تعدد في العوامل التي تداخلت في ظهور الخوف المدرسي لدى الطفل الذي تبين أنه يعاني من سوء المعاملة من قبل الأب والتي اتضح من خلال الإهمال، الشتم، العقاب الجسدي والنقد السلبي فيما يتعلق بسلوكاته وحتى تدمرته، إضافة إلى عدم توفير الجو العائلي المستقر والأمن الذي يعد من متطلبات النمو السوي للطفل. حيث أن الطفل عايش منذ طفولته الأولى بل منذ ولادته توترا في العلاقة الوالدية التي كانت تشوبها الشجارات و الخلافات المتكررة و التي تصل في كثير من الحالات إلى الضرب والشتم. كل هذا خلق لدى الطفل الشعور بعدم الأمن و الاستقرار النفسي والشعور بالنقص مما جعله يحول بينه و بين اكتساب المعرفة. و في هذا الإطار جاء أن الطفل يكون خائفا من ترك الأم فيكون منشغلا و قلقا لأنه متأكد من عواطفها ويخاف أن يحدث لها مكروها لأن الأب بإمكانه أن يؤذيها بعد أن قام بتهديدها ومن جهتها تتعلق به الأم كمنبع رئيسي لتلبية (Ajuriaguerra, 1974). (الإشباع العاطفي هذه الحاجة إلى الإشباع الناجم عن فشل العلاقة الزوجية زادت في تعزيز الانشغال و الذي ولد لدى الطفل قلقا مصاحبا بأعراض نفسية- جسدية حيث جاء مرض الربو كمكسب ثانوي لتبرير غيابا ته عن المدرسة. و بهذا يتضح لنا من

خلال هذه الحالة أن سوء المعاملة الوالدية من قبل الأب (إهمال، شتم، عقاب جسدي و نقد سلبي) بالإضافة إلى الجو العائلي غير الآمن (الخلافات الوالدية). وفي هذا الإطار جاءت عدة دراسات حاولت توضيح طبيعة المناخ العائلي المميز لعائلات الأطفال الذين يعانون من الخوف المدرسي منها دراسة مارسيلي وبراكوني (Marcelli & Braconnier, 2000) و التي أسفرت نتائجها على أنه يسجل تواجد أب لا يقوم بدوره و وظيفته كما يتواتر إقصاؤه نتيجة الطلاق والانفصال وأسباب أخرى. إذن كل هذه العوامل أدت من خلال هذه الحالة إلى ظهور الشعور بالنقص والقلق نتيجة الانشغال بالظروف العائلية و كل هذا تطور إلى خواف مدرس. أما بالنسبة للحالة الثانية فقد اتضح لنا أن ظهور الاضطراب من خلال رفض الطفلة الذهاب إلى المدرسة مع ارتباط ذلك بتظاهرات القلق التي تجسدت في أعراض نفسية -جسدية (آلام البطن والصداع)، يعود إلى عامل أساسي يتمثل في الرفض الوالدي من قبل الأم و الذي يندرج ضمن سوء المعاملة. و يتضح من خلال الاعتداءات النفسية الواسعة التي تتعرض لها الطفلة من قبل الأم و يتعلق ذلك في سلسلة الانتقادات السلبية، مقارنتها المستمرة بأختها الكبرى والتشبهات بسمات الأب وطباعه وهو الموضوع المنبؤ في العائلة نتيجة لفشل العلاقة الزوجية . حيث أن النجاح المدرسي لم يكن كفيلا لتعويض الأم هذا ما أدى إلى ظهور الخوف المدرسي لديها كحل لهذا الصراع الذي تعيشه فهي برفضها الذهاب إلى المدرسة تحاول لا شعوريا أن تجرح الأم من خلال الجانب الإيجابي الذي يحقق رضا هذه الأخيرة و هو النجاح و التفوق المدرسي ، هذا من جهة بالإضافة إلى القلق الشديد الذي تشعر به نتيجة رغبتها في التعلم و التفوق من جهة أخرى. إذن فمن خلال هذه الحالة نجد أن سوء المعاملة تلعب دورا مهما في

ظهور الاضطراب و تمثل ذلك في كوكبة الاعتداءات النفسية الواسعة التي تعرضت لها الطفلة من قبل الأم بشكل رئيسي بالإضافة إلى باقي أفراد العائلة الأمومية. أن هذه الاعتداءات توقظ لدى الطفل J.P.Nursten نارستن J.H.Mahn وهنا توصل ماهن صراعات وقلق مرتبطة في الأصل بانفعالاته اتجاه الأم، حيث ذهب العالمان إلى تقريب عرض الرفض المدرسي في هذه الحالة بالمحاولات الانتحارية ، فحسبهما في كلتا الحالتين ، يوجد التدمير الذاتي مع رغبة الطفل في جرح الذين يتعلق بهم . ( Ajuriaguerra ,1974 ) إن هذا يعتبر كحالة انتحار اجتماعي كما يصفه العلماء و هو يعود إلى رغبة في تدمير الذات ناجمة عن الرفض الوالدي الذي تحول إلى رفض الذات. و بالعودة إلى التاريخ المدرسي لـ "رانيا" نتساءل عن عدم ظهور الاضطراب في السنوات السابقة، فقد يعود ذلك إلى تكتل الاعتداءات التي أصبحت رانيا غير قادرة على احتمالها أو قد يرتبط ذلك بعامل آخر ضمن سلسلة التشبيهات مع الأب ( الشكل والطبع ) فيمكن أن يتكون لدى الطفلة خوف من الفشل بما أنها على مقاربة لاجتياز امتحان نهاية المرحلة الابتدائية نظرا لما سمعت من انتقادات الأم فيما يتعلق بالمستوى التعليمي للأب و ذلك للحظ من قيمته بقولها : نيفو سيزيام و بهذا فإن سوء المعاملة الوالدية (من جهة الأم) من خلال النقد السلبي كون لدى الطفلة شعورا بعدم القيمة و الرفض الوالدي رغم النجاح المدرسي المحقق و بهذا تكون لديها عدوانية اتجاه الذات و موضوع الحب تجلت في ظهور الخواف المدرسي.

وأخيرا فيما يتعلق بالحالة الثالثة فإن ما يظهر من خلالها هو تأكيد لما لنمط الأسلوب التسلطي في التنشئة من تأثير على شخصية الطفل، الذي عانى في هذه الحالة من خوفه الشديد من الأب الناجم عن شخصيته المسيطرة والتسلطية. مما

أدى إلى تكون صورة مخيفة ومهددة بالخطر اتجاه السلطة و هذا ما خبره الطفل في علاقته بالمعلمة و المدير. وهنا نعود في تفسير الخوف المدرسي لدى الطفل إلى الدينامية العلائقية العائلية والتي يعتبرها دوغاس Dugas و جيريو Gueriot مؤسسا هاما للأعراض حيث تتمحور أساسا حول شخصية الأب المتسلطة. (Lamotte 2004) فقد كان لها تأثير كبير على شخصية الطفل التي اتسمت بخشية السلطة و عدم الشعور بالقيمة و الشعور بالنقص والانطواء. كل هذا أثر على تفاعلاته الاجتماعية من خلال الانسحاب والعمل واللعب الفردي.

بالإضافة إلى الشعور بعدم الثقة بالنفس و عدم القدرة على إثبات الذات و هذا ما يظهر في خوفه من التقييم و الفشل في الامتحانات . كما يتضح من هنا أن الطفل يعاني من التثبيط و هذا ما أشار إليه ليوفيسي في وصفه الإكلينيكي للخوف المدرسي عند الطفل. كما لا ننسى دور المدرسة بكل ما قدمته من خبرات أثرت على تدرس الطف.

كل هذه العوامل تم تعزيزها من قبل العامل المفجر الذي تمثل في سوء المعاملة من قبل المعلمة ، مما أدى إلى تطور الخوف المدرسي بشكل تدريجي حيث كان لمرض الأب دورا هاما في ارتفاع نسبة غيابات الطفل خاصة في وجود أم فاترة ومتساهلة. و هنا يذكرنا الإطار العائلي بالنموذج الثالث الذي وصفه هارسوف Hersov حول النماذج العلائقية العائلية لدى الطفل الذي يعاني خوفا مدرسيا. (Ajuriaguerra, 1974)

وفي النهاية نقول أن هذه النتائج صالحة للحالات المدروسة فقط و لا يمكن تعميمها على حالات أخرى.

### الخلاصة:

تناولت هذه الدراسة تأثير سوء المعاملة الوالدية على ظهور الخوف المدرسي عند الطفل و ذلك من خلال دراسة ثلاث حالات إكلينيكية ، اعتمادا على أدوات المنهج الإكلينيكي الذي يتماشى و موضوع الدراسة تمثلت في المقابلة الإكلينيكية نصف الموجهة، قائمة رهاب المدرسة للأطفال و الاختبارات الإسقاطية أهمها اختبار رسم الشجرة.

وقد توصلنا من خلال نتائج الدراسة إلى أن سوء المعاملة الوالدية تعتبر من أهم العوامل النفسية القائمة وراء ظهور الخوف المدرسي لدى الطفل. ويتظاهر ذلك في محورين أساسيين:

- عدم توفير الأمن و الاستقرار العائلي كأحد أهم الحاجات النفسية للنمو السوي وذلك من خلال توتر العلاقات الوالدية و الخلافات المختلفة الظاهرة منها والخفية. - أشكال مختلفة من الإساءة تمثلت في: الإهمال، السيطرة الوالدية، النقد السلبي والرفض الوالدي. ونشير في الأخير إلى أنه لا يمكن إغفال الدور الذي تلعبه المدرسة رغم عدم مسؤوليتها المطلقة و المباشرة و يتعلق ذلك بخبرات سيئة يعيشها الطفل في المدرسة مما يشعره بعدم الأمن و الطمأنينة كعقاب المعلم ، اعتداءات من قبل الزملاء أو الخوف من الفشل .

### قائمة المراجع:

- باللغة العربية :

- بدر إبراهيم الشيباني.(2003). سيكولوجية النمو، تطور النمو من الإخصاب إلى المراهقة. الكويت، مركز المخطوطات والتراث والوثائق .
- عماد محمد مخيمر.(2009). علم النفس الارتقائي. بحوث معمقة في مراحل تنمية الجوانب الإيجابية في الشخصية. الجزائر، دار الكتاب الحديث.
- باللغة الأجنبية:

- Bowlby, J. (1978). Attachement et perte .La séparation angoisse et colère. Paris, Puf.
- De Ajuriaguerra, J. (1974). Manuel de psychiatrie de l'enfant .Paris, Masson.
- Lamotte, f.(2003-2004). pertes, renoncements et dimentions suicidaires dans les phobies scolaires à l'adolescence.
- Marcelli, D & Braconnier, A. (2000). Adolescence et psychopathologie. Paris, Masson.